

مشروع مارشال العربي:
شراكة وتعاون من أجل مستقبل أفضل للشرق الأوسط
المؤتمر السنوي لبيت المستقبل
بالتعاون مع مؤسسة كونراد أديناور
سرايا بكفيا
السبت، 30 أيار، 2015

الجلسة الأولى: مستقبل دول المنطقة ما بعد الربيع العربي، نظرة مقارنة بين التجربة الألمانية والواقع العربي

دفاعا عن لبنان الليبرالي: هل تواجه الإيديولوجيات الدينية طريقا مسدودة في ظل فوضى الربيع العربي؟

سامي عون

أستاذ في كلية السياسة التطبيقية، جامعة شيربروك، كندا

لم يعان لبنان عبر تاريخه من وطأة الأنظمة الاستبدادية التي سادت منطقة الشرق الأوسط، وعرف جبله قبل أي دولة أخرى في الشرق الأدنى تجربة الجمهورية والمجتمع المدني. وعلى الرغم من فشل لبنان في إنتاج أحزاب سياسية عابرة للطوائف والعقلية التجارية المهيمنة فيه، حافظ على الصدارة في احتضان الديمقراطية الليبرالية، ما مكّنه تاليا من التواصل مجددا مع تراثه وتخطي الأزمة السياسية والدستورية الحالية.

في المقابل، إن انتشار الفكر المتطرف الذي يستخدم العنف كوسيلة وحيدة لتحقيق تغيرات اجتماعية والذي أعقب ما يسمى بالربيع العربي، يثبت أنه بخلاف لبنان لا تحمل دول المنطقة في جذورها قيم الديمقراطية الليبرالية. الفكر الإسلامي المتطرف يشكل عائقا أمام ثقافة الديمقراطية ولا يمكنه أن يؤسس لسلام أهلي في المجتمعات المتعددة.

ومع ذلك، وعلى الرغم من حال إنعدام الاستقرار التي انتجها الربيع العربي على المدى القصير، فهو دون أدنى شك يؤشر على المدى الطويل إلى قيام شرق أوسط حر مع إسقاط دوله للأنظمة الاستبدادية التي كانت راسخة. وبإمكان مجتمع المفكرين في لبنان ومنهم بيت المستقبل المساهمة في ترسيخ هذه الحرية الجديدة ودعم الانتقال إلى الديمقراطية من خلال تأسيس مؤسسات ليبرالية وحل المشاكل الاقتصادية، ما يعد بمنطقة تعتمد الحوكمة الرشيدة القائمة على احترام حقوق الإنسان. على بيت المستقبل السعي لتخفيف التوتر السني- الشيعي المتزايد والعمل على ترسيخ فصل الدين عن الدولة عبر مقاربة ليبرالية.

وفي هذا الصدد، ومع ارتفاع حدة الطائفية في منطقة الشرق الأوسط وزيادة التنافس الجيوسياسي السعودي- الإيراني، فالسير على الحبل المشدود بين هذين المتنافسين الكبيرين سيكون صعبا وحساسا. لا نموذج الوهابية، ولا نموذج الملالي الإيراني ولا حتى النموذج التركي الإسلامي يمكن أن يطبق في المنطقة

العربية، وبالتالي تحتاج المنطقة بشكل ملح إلى استشراف نموذج خاص بها، ويمكن للبنان أن يساعد في تحقيق هذا التحدي.

وعن سبل كبح المد الإسلامي الذي يجتاح المنطقة، تحتاج المجتمعات العربية إلى حركة إصلاحية تنتج نموذجا بديلا عن النموذج الإسلامي المتطرف يحافظ على التعددية والسياسة التشاركية. إن النزاع الطائفي داخل الإسلام أعاق في السنوات الأخيرة عملية البحث عن هذا النموذج البديل، ما أّجج التوترات وأغرق العالم العربي في دوامة من العنف. في ضوء هذه الحالة الطارئة، أصبحت الحاجة إلى إصلاح الفقه الإسلامي والفكر الاجتماعي أكثر إلحاحا من أي وقت مضى. إن التهديد الذين يشكّله الإسلاميون المتطرفون للعالم العربي، ضاعف من حالة الضعف في التفكير النقدي للتقاليد الدينية والسياسية الإسلامية. ومن خلال وضع بديل إصلاحي للفكر الإسلامي، يصبح لدى المجتمعات العربية هيكلية صلبة ذات بعد تاريخي، تعتمد التفكير المعارض وتؤسس لقيام أنظمة سياسية واجتماعية أفضل ولخلق مجتمعات عادلة تحتضن جميع الأطياف.

وفي هذا الإطار، علينا الاستثمار في الأفكار التي عرضها الأزهر مؤخرا حول سيادة القانون والمساواة والعدالة والحرية، والتي جاءت أكثر اعتدالا من الخطاب الإسلامي التقليدي في كل تنوعاته.

نشدد أخيرا على دور لبنان في تعزيز الديمقراطية الليبرالية في العالم العربي، وتعزيز الحوار بين الأديان وترسيخ ثقافة التسامح وقبول الآخر.